

أولاً: مفاهيم أولية

1/ المنهج (لغة واصطلاحاً)

كلمة منهج مأخوذة من الكلمة اللاتينية "Méthodus" وكان يقصد بها البحث والنظر في مسائل الفلسفة والميتافيزيقيا (بدوي، 1977، ص 3).

ذكرت المعاجم العربية أن معنى النهج ((الطريق الواضح كالمنهج والمنهاج ونهج كمنع،: نهج وضح، وأوضح، ونهج الطريق: سلكه، واستنهج الطريق صار نهجاً)) (الفيروزآبادي، "نهج"، 1/ 218). وورد في لسان العرب أن النهج هو ((الطريق البين الواضح، ونهج المرء منهاجا أي أنه سلك طريقاً واضحاً)) (ابن منظور، ج2، 1955، ص383). فالمنهج في المعنى اللغوي هو الطريق الذي يسلكه الإنسان للوصول إلى الهدف الذي يسعى إليه.

أما اصطلاحاً فمفهومه الضيق يعني: ((الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل، وتحدّد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة)) (بدر، 1979، ص5). والنتيجة المعلومة هنا لا تعني بالضرورة الحقيقة الثابتة، وإنما هي فكرة أو مجموعة من الأفكار يتوصل إليها الباحث بواسطة آليات منظمة تجعل العقل يستوعبها ويتقبلها وفقاً لها. إذاً هو الطريقة التي تعين الباحث على أن يلتزم باتباع مجموعة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل سيرا مقصوداً في البحث العلمي، ويسترشد بها الباحث في سبيل الوصول إلى الحلول الملائمة لمشكلة البحث.

وهو أيضاً ((فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين تكون بها جاهلين، وإما من أجل البرهنة عليها للأخرين حين تكون بها عارفين)) (بوحوش، 1985، ص19). فالمنهج عبارة عن عملية تنظيم وتبويب وتقسيم لمجموعة من الأفكار والآراء في صورة منظمة تشتمل على مقدمات ونتائج.

أما المفهوم الموسع للمنهج يتمثل في كونه ((تحيين مجموعة من المفاهيم المستمدة من نظرية أو علم معين، واتخاذها إجراءات لتحليل ظاهرة ما من أجل حلّ إشكالية)) (بلعلی، 2005، ص21). فالمنهج علم التفكير أو طريقة كسب المعرفة ودراسة مشكلة لاكتشاف الحقيقة.

المنهج ((خطوات منظمة يتبعها الباحث في دراسته لموضوع ما تيسر عليه مهمة الوصول إلى النتائج العلمية)) (حسن محمد تقي سعيد، 1992، ص: 12- 13)، وهذا ما يستدعي من الباحث المعرفة المسبقة بخطوات منهجه حتى يتسنى له السير على هديها من بداية بحثه حتى آخره، ولا يتركها حتى يستطيع تحقيق النتائج المرجوة.

1-1- خصائص المنهج

يتميز القاسم المشترك بين أساليب البحث العلمي والمنهج بكثير من المميزات والخصائص التي لا بد من معرفتها من قبل كافة الأشخاص، ومن أهم هذه الخصائص ("خصائص المنهج العلمي"، مكتبك، اطّلع عليه بتاريخ 2-8-2019):
الطريقة الفكرية والموضوعية: يتميز المنهج بالعملية التنظيمية السليمة والطريقة الفكرية المتميزة التي تستند على الملاحظة، وتشمل الكثير من المراحل المترابطة والمتسلسلة، كما يتميز بالموضوعية، والبعد عن الاتجاهات، والتحيز، والميول الشخصية.

المرونة: يتميز المنهج بالمرونة، بما يعني أنه قابل للتكيف، وغير جامد، ومساير للتغيير بسبب التقدم السريع الذي يطراً على مختلف العلوم، كما يمكن التثبيت في أي وقت من نتائج الدراسات والبحث العلمي عن طريق استخدام الأساليب العلمية الجديدة.

التعميم: يعد التعميم من أهم خصائص المنهج، وتعني استخدام نتائج الدراسات السابقة التي توصل اليها الباحث إليها، وتعميمها من أجل دراسة المواضيع المشابهة، كما يتميز بالقدرة على التنبؤ، إذ تتميز أساليب الدراسات والبحث العلمي بقدرتها على طرح مقترح وتخيل للظواهر المستقبلية.

2/ المنهجية (Méthodologie)

يعرف محمد بدوي المنهجية بأنه: ((علم يعتني بالبحث في أيسر الطرق للوصول إلى المعلومة مع توفير الجهد والوقت، وتفيد كذلك معنى ترتيب المادة المعرفية وتبويبها وفق أحكام مضبوطة لا يختلف عليها أهل الذكر)) (البدوي، 1998، ص9). فالمنهجية هي الطريقة التي يتبعها الباحث من أجل الوصول إلى الهدف المنشود.

وهي أيضاً، مجموع الأدوات التي يستخدمها باحث ما في تقديم البراهين والأدلة والحجج للتأكد من صحة أو عدم صحة فرضية، أو نظرية معينة. لذلك فإن المنهجية هي مجموعة الإجراءات والآليات المتعارف عليها بين العلماء، والتي يمكن استخدامها للملاحظة والكشف والتحقيق في اكتساب المعرفة والوصول للحقائق. والغرض الأساسي من المنهجية هو محاولة فهم الأمور والعلاقات في المحيط الذي يعيش فيه الإنسان من أجل الوصول إلى النظريات والقوانين التي تحكم الكون وتُسيّرهُ (بروين، من مفهوم المنهجية العلمية).

إن المنهجية فرع من فروع الإبيستمولوجيا (علم المعرفة) تختص بدراسة المناهج أو الطرق التي تسمح بالوصول إلى معرفة علمية للأشياء و الظواهر أما المنهج فهو مجمل الإجراءات و العمليات الذهنية التي يقوم بها الباحث لإظهار حقيقة الأشياء أو الظواهر التي يدرسها و يمكن أيضاً أن نعتبر بأنّ المنهج هو موقف أمام الموضوع و نتحدث في هذه الحالة مثلاً على المنهج التجريبي و المنهج الطبي ، و إنّ كلمة المنهج تعني أيضاً اللجوء إلى أنماط تحليلية خاصة بفروع علمية مميزة.

تختلف المنهجية عن المنهج في كون أنها تهتم بالقواعد الأساسية للبحث العلمي وكيفية صياغته، والالتزام به قبل وأثناء البحث العلمي، مع تحديد الوسيلة التي يتم استخدامها للكشف عن الحقيقة، في حين أن المنهج يقتصر على الطريق التي تكشف عن الحقيقة في العلوم النظرية. وبهذا تكون المنهجية أشمل من المنهج الذي هو جزء أساسي منها، فهو يظهر أساسا في كيفية معالجة الموضوع على مستوى المتن و خطة البحث وهما من أجزاء البحث ، أما المنهجية فهي تهتم بكل أجزاء وأقسام البحث العلمي من خلال بيان عناصرها وشروطها و القواعد التي تحكمها، فضلا عن المسائل المتعلقة بالشكل مثل : كيفية الوثقنة في الهامش ، كيفية توثيق قائمة المراجع ، علامات الوقف ،...

تعتبر المنهجية معيارية ومشاركة بين كافة العلوم، في حين يتغير المنهج من علم لآخر. تعتبر المنهجية جملة من القواعد الثابتة التي ينبغي على الباحث التقيد بها، أما المنهج فعادة ما يكون مرتبطا بالمنطق وطرق الاستدلال والاستنتاج(الفرق بين المنهج والمنهجية" فزورة، اطلع عليه بتاريخ 1-8-2019. بتصرف).

3/ البحث

ذكرت المعاجم أن معنى البحث هو ((طلبك الشيء في التراب. بحثه يبحثه بحثا وابتحثه...والبحث ان تسأل عن شيء، وتستخير، وبحث عن الخبر وبحثه يبحثه بحثا: سأل. وكذلك استبحثه واستبحث عنه، الأزهري: استبحثت وابتحثت وتبحثت عن الشيء بمعنى واحد. أي فنتشت عنه...والبحوث جمع بحث)) (ابن منظور، 1955، "بحث"، 1 / 163). فالمعنى اللغوي للبحث هو التفتيش والاستخبار، ولا يتم ذلك إلا عند وجود شيء مجهول في الذي نبحث فيه أو عنه، أي المجهول يكون في الشيء المبحوث أو في الطريق إليه، أو الاثنتين معا.

وإذا كان المعنى اللغوي عاما يشمل الكشف عن كل مجهول، فإن المعنى الاصطلاحي تخصص في محاولة الكشف عن المجهول المعرفي أو العلمي (تقي سعيد، 1992، ص: 13-14).

لقد عرف بعض العلماء البحث ((إنه الوسيلة للاستعلام والاستقصاء المنظم الدقيق الذي يقوم به الباحث، لغرض اكتشاف معلومات، أو علاقات جديدة. بالإضافة إلى تطوير المعلومات أو تصحيحها أو تحقيق الموجودة منها فعلا. ويرى آخرون أنه الفحص والتقصي المنظم لمادة أي موضوع، من أجل إضافة المعلومات الناتجة إلى المعرفة الإنسانية، أو المعرفة الشخصية. وذهب فريق ثالث إلى أنه محاولة لاكتشاف المعرفة، والتنقيب عنها، وفحصها، وتحقيقها بنقص دقيق، ونقد عميق. ثم عرضها عرضا مكتملا بذكاء وإدراك لتسير في ركب الحضارة العالمية، وتسهم فيها إسهاما إنسانيا حيا شاملا (تقي سعيد، 1992، ص14). جاء التعريف الأول بمفهوم قريب من المعنى اللغوي، أما الثاني والثالث ربطا الكشف عن المجهول بالهدف منه(الرقي الإنساني أو الشخصي).

يعدّ مفهوم العلم من المفاهيم الرئيسية في الدراسات المعاصرة؛ خاصة مع الجدل المتزايد حول حصر مفهوم العلم في الجانب التجريبي، وتترجم الكلمة الإنجليزية "Science" إلى لفظة علم، ويقابلها في اللاتينية "Scientia" وفي الفرنسية Science.

يُقصد بالعلم في اللغة بأنّه مصدر من الفعل عَلِمَ، وهو إدراك الشيء على حقيقته، كما أنّه المعرفة واليقين، أمّا مفهوم العلم في الاصطلاح فهو مجموعة من النظريات والوقائع والحقائق، بالإضافة إلى مناهج البحث المتواجدة في جميع المؤلفات العلمية، كما يمكن تعريفه أيضاً بأنه نسق من المعارف العلميّة المُتراكمة أو عبارة عن مجموعة من القواعد والمبادئ التي يتم من خلالها شرح البعض من الظواهر العلاقة القائمة فيما بينها.

يتميز العلم بعدة خصائص، هي¹:

- **قابلية حقائقه للتعديل**: يكتشف الإنسان الحقائق العلمية بشكل مجزأ، وهي مُعرّضة للخطأ والصواب، لذا فإنّ الحقائق العلمية نسبية وليست قطعية أو مُطلقة، وتحتاج للتعديل عليها لعدة أسباب، منها:
 - إن الإنسان يصيب ويخطئ.
 - حداثة ورقيّ وسائل البحث المستخدمة.
 - إنّ التكامل في الفروع المُختلفة للبحوث العلمية يحتمّ وجوب اكتشاف صحّة تلك الحقائق من عدمها.
- **قدرة العلم على تصحيح ذاته بذاته**: تتطور المعرفة العلمية بشكل مُستمر، لذا كلما توفّرت البراهين والأدلة فإن العديد من التغيرات والتعديلات تظهر على الحقائق العلميّة، لذا يجب أخذ الحركة الديناميكية بعين الاعتبار، وذلك بالنظر إلى الاعتبارات الآتية:
 - دراسة نموّ النظريات العلميّة وتطورها التاريخي.
 - تصحيح الحقائق العلمية الموجودة في الكتب المدرسية بشكل متواصل، وذلك في حال اكتشاف ما ينقصها.
 - عدم تمسك الإنسان بالحقائق العلمية الموجودة في الكتاب المدرسي، إذ إن تلك الحقائق قابلة للتعديل أو التغيير.
 - تنمية المهارات الخاصة بالاطلاع على الجوانب العلميّة، من أجل مواكبة التطوّر وزيادة المعرفة فيما يتعلّق في مفاهيم العلم أو أفكاره.
- **العلم ذو بناء تراكمي**: حيث إنّ الباحث العلمي تبدأ دراسته من الموقع الذي انتهى به من سبقه في ذلك المجال، فيقوم الباحث بالرجوع إلى الدراسات السابقة وبحوث العلماء السابقين في الجوانب المُختلفة لتلك الدراسات، ولهذا تعتبر الدراسة مُشابهة للبناء الذي يُشيد طباقاً تلو الطابق، من أجل أن ترتقي الظواهر العلميّة الأخرى.

1- حسن الشافعي(https://mkaleh.com) -آخر تحديث: السبت ٢١ يوليو ٢٠١٩

- **العِلْمُ نشاطٌ عالمي:** يمكن القول إنّ المعرفة العلمية لا تُخصّ الإنسان وحده؛ حيث إنّها ناتج البحث العلمي، ولذلك لا يمكن اعتبارها موضوعاً فردياً أو شخصياً، ولذا بمُجرد أن تظهر المعرفة فإنها تصبح ملكاً ومشاعاً للجميع، فيستطيع الفرد أو المؤسسات استخدام وتطبيق النظريات العلميّة في الجوانب المختلفة في الحياة.
- **العِلْمُ مُتَجَرِّدٌ ودقيق:** يمتاز العِلْمُ بأنه دقيق وموضوعي، حيث إنّ الباحث يقوم بتحديد المُشكلة ثم يُحدد الإجراءات الخاصة بدراسته بشكلٍ مُجرّد وموضوعي من خلال استخدام لغة علميّة تستند إلى العلاقات الرياضية، والطُرق الكميّة، وهذا الأمر يُساعد الباحث على الابتعاد عن الذاتية في حلّ تلك المُشكلة

ومن سماته لدينا أيضاً:

- 1- الجمع بين العلم كمنهجية وكتطبيق.
- 2 - الجمع بين العلم كمنهج للبحث وكمضمون معرفي.
- 3 - التوكيد على العلم بمعناه الطبيعي؛ أي الذي يعتمد على التجربة والملاحظة.
- 4 - أن العلم يتعلق بمجال أخص من المعرفة العامة.

15/ النظرية

تمثل " النظرية العلمية " أهمية بالغة في البحث العلمي بصفة عامة. و تتحدد على أساسها " هوية" أي علم من العلوم. فالنظرية هي التي تحدد موضوع العلم و تنظم عملياته وأدواره واتجاهاته. وبذلك تختلف النظرية عن المنهج العلمي الذي يعتبر أساساً واحداً لكل العلوم الطبيعية والإنسانية مع اختلاف الإجراءات و الأدوات باختلاف الظاهرة محل الدراسة. فعلى سبيل المثال تعد " الملاحظة " خطوة أساسية في كل بحث علمي، طبيعي أو إنساني، ولكن تختلف أدوات الملاحظة.

تُعرفُ النظريةُ لغةً: بأنّها مصطلح مشتق من الكلمة الثلاثية نَظَرَ، ومعناها التأمّل أثناء التفكير بشيء ما، أمّا اصطلاحاً: فتُعرف بقواعد ومبادئ تُستخدم لوصف شيء ما، سواء أكان علمياً، أم فلسفياً، أم معرفياً، أم أدبياً، وقد تثبتت هذه النظرية حقيقة معيّنة، أو تساهم في بناء فكر جديد، ومن التعريفات الاصطلاحية الأخرى للنظرية: هي دراسة لموضوع معين دراسة عقلانية ومنطقية، من أجل استنتاج مجموعة من الخلاصات والنتائج التي تساهم في تعزيز الفكرة الرئيسيّة التي تُبنى عليها النظرية.

يتفق كثير من العلماء و الدارسين على أن النظرية تمثل ((نسقاً فكرياً متنسقاً حول ظاهرة أو مجموعة من الظواهر المتجانسة)). و تعرف بأنها ((تفسير لظاهرة معينة من خلال نسق استنباطي)).

*تاريخ مفهوم النظرية

استُخدمَ مفهوم النظرية للمرة الأولى في الفلسفة اليونانية للإشارة إلى المُصطلحات، والمفاهيم التي تخالف التطبيقات العمليّة الواقعيّة، واعتُبر الفيلسوف اليوناني أرسطو أول مَنْ

اعتمدَ على تطبيق فكرة النظرية للتفريق بين الحقائق المُطبقة فعلياً والنظريات الفكرية، ثمّ أصبح مصطلح النظرية من المُصطلحات المعرفية التي تُستخدمُ في العديدِ من المجالات سواء الفلسفية، أم العلمية أم غيرها.

في القرن السادس عشر للميلاد أصبح مفهوم النظرية أكثر استخداماً للدلالة على العديد من أنواع الدراسات التي اعتمدتُ على مصادر ومراجع موثوقة، وقابلة للتحليل والتفسير، والتي من الممكن تطبيقها ضمن المجال الخاص بها، وساهمتُ في تحقيق إضافة متطورة إلى مجموعة من المجالات الدراسية، وهكذا أصبحت النظريات جزءاً مهماً من الدراسات الإنسانية، والعلمية، والطبية، والأدبية، والفلسفية، والتي درست في العديد من المدارس والجامعات.